

”تايفون بلوك-4“.. كيف تعيد تركيا رسم ميزان الردع في الإقليم؟



تكشف أنقرة عن فصل جديد في معادلة القوة الإقليمية، مع توقيع الرئيس رجب طيب أردوغان أمس الثلاثاء على صاروخ ”تايفون بلوك-4“ داخل منشآت روكيتسان في العاصمة أنقرة، بالتزامن مع افتتاح خطوط إنتاج جديدة، وهو ما يعكس إعلانًا سياسيًا مغلقًا بأداة عسكرية، يخرج من إطار التطوير التقني إلى فضاء إعادة تعريف موقع تركيا في بيئة إقليمية تتغير بسرعة.



يحمل الصاروخ، الذي ينتمي إلى جيل متقدم من المنظومات الباليستية، دلالات تتجاوز قدراته العملية إذ يرتبط بمسار متسارع نحو تعزيز الاستقلال الدفاعي وبناء قدرة ردع أكثر مرونة وتأثيرًا، ويتقاطع ذلك مع مواجهة بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وإيران من جهة أخرى، ما منح هذا الإعلان وزنًا إضافيًا في توقيت بالغ الحساسية.

ويفتح ”تايفون بلوك-4“ بابًا أوسع لقراءة التحول في العقيدة الاستراتيجية لأنقرة، حيث تتداخل الصناعة العسكرية مع الرسائل السياسية، وتعاد صياغة حسابات الردع في شرق المتوسط والشرق الأوسط ضمن معادلة أكثر تعقيدًا وتنافسًا.

مسار تصاعدي

يعكس مسار تطوير صاروخ تايفون تحولًا متدرجًا ومدروسًا في قدرات الصناعات الدفاعية التركية، بدأ أول فصوله العلنية عام 2022 مع تسجيل إطلاق تجريبي من ولاية ريزا على البحر الأسود، قطع خلاله الصاروخ مسافة تجاوزت 561 كيلومترًا خلال 456 ثانية.

واستندت هذه المنظومة في بداياتها إلى إرث صاروخ ”بورا“ قصير المدى، غير أن النسخة الأولى من ”تايفون“ جاءت بخصائص محدودة نسبيًا، إذ بلغ طولها نحو 6.5 أمتار ووزنها قرابة 2300 كيلوغرام، مع قدرة على إصابة الأهداف بدقة لافتة تصل إلى نحو خمسة أمتار ضمن مدى تراوح بين 500 و800 كيلومتر، وفق ما أظهرته الاختبارات.

تسارع هذا المسار بشكل واضح مع الكشف عن النسخة الأحدث ”بلوك-4“ خلال معرض الصناعات الدفاعية الدولي عام 2025، حيث عرضت شركة روكيتسان نموذجًا أكبر حجمًا وأكثر تقدمًا، ويبلغ طول هذه النسخة نحو 10 أمتار، ويصل وزنها إلى قرابة 7 أطنان، ما أتاح زيادة كمية الوقود والرأس الحربي، وبالتالي توسيع نطاق التأثير العملي.

ورغم غياب إعلان رسمي دقيق بشأن المدى، تشير تقديرات متقاطعة إلى أنه يتجاوز ألف كيلومتر، مع

ترجيحات بوضوله إلى مسافات أبعد وفق بعض التحليلات الغربية، وتبرز السرعة كأحد أبرز عناصر التفوق، إذ يتحرك الصاروخ بسرعات تتجاوز خمسة أضعاف سرعة الصوت، مع مسار شبه بالستي يمنحه مرونة في الارتفاع والمناورة، بما يعقد من مهمة أنظمة الدفاع الجوي التقليدية في تعقبه واعتراضه.

ويعتمد ”تايفون بلوك-4“ على محرك يعمل بالوقود الصلب، إلى جانب منظومة توجيه مطورة تجمع بين أنظمة الملاحة الداخلية والتصحيحات عبر الأقمار الصناعية، ما يعزز دقة الإصابة ويخفض هامش الخطأ إلى أقل من خمسة أمتار وفق تقديرات متخصصة، وتتيح منصات الإطلاق المتحركة المثبتة على شاحنات ثقيلة تكتيكات مرنة تقوم على سرعة الانتشار والتنفيذ ثم الانسحاب، وهو ما يقلل من فرص كشف مواقع الإطلاق قبل تنفيذ الضربة، أما الرأس الحربي، فيعتمد على التفجير والتشظي، مع إمكانات تطويره ليشمل قدرات اختراقية تستهدف المنشآت المحصنة أو الأهداف البحرية.

كما تظهر المقارنة بين النسخ المختلفة من الصاروخ حجم القفزة التي تحققت خلال فترة زمنية قصيرة، فبينما صممت النسخ الأولى ضمن فئة الصواريخ قصيرة المدى، مع قدرات محدودة نسبياً من حيث الوزن والمدى، تأتي نسخة ”بلوك-4“ بحجم ومدى يضعانها ضمن تصنيفات أعلى من حيث القدرة العملية، مع تحسينات واضحة في السرعة والدقة ومرونة المسار. هذا التطور يعكس انتقالاً في طبيعة الدور الذي يمكن أن تؤديه هذه المنظومة ضمن العقيدة العسكرية التركية.

ضمن هذا الإطار، يعبر ”تايفون بلوك-4“ عن بلوغ مرحلة متقدمة في مسار التصنيع العسكري التركي، حيث تتقاطع عناصر السرعة العالية والدقة والقدرة على المناورة لتشكل منظومة يصعب التعامل معها بالوسائل الدفاعية التقليدية، ويضع هذا التطور تركيا ضمن دائرة محدودة من الدول التي تمتلك قدرات صاروخية متقدمة بهذا المستوى، ما يعزز من قدرتها على فرض معادلات ردع أكثر تعقيداً، ويمنحها أدوات تأثير سريعة وحاسمة في بيئة إقليمية تتسم بتسارع التهديدات وتبدل موازين القوة.

نادي محدود

يعكس مشهد تطوير الصواريخ فائقة السرعة محدودية واضحة في عدد الدول التي نجحت في بلوغ هذا المستوى من التكنولوجيا العسكرية، إذ بقيت هذه القدرات حتى منتصف عام 2025 محصورة في نطاق ضيق من القوى الكبرى. وتشير بيانات منشورة إلى أن روسيا تتصدر هذا المجال بعدة نماذج تشغيلية، من بينها ”كينجال“ و”أفانجارد“، تليها الصين التي طورت عدداً مماثلاً من المنظومات، فيما تواصل الولايات المتحدة العمل على نماذج متعددة ضمن سباق تقني متسارع.

وعلى هامش هذه القوى، تتحرك دول أخرى مثل الهند وألمانيا واليابان وكوريا الشمالية وكوريا الجنوبية وفرنسا والبرازيل وإيران وأستراليا وكندا ضمن مسارات تطوير متفاوتة تعكس اتساع الاهتمام العالمي بهذه الفئة من الأسلحة.

وفي هذا السياق، أعلنت إيران عام 2023 عن صاروخ ”فتاح“ بمدى يناهز 1400 كيلومتر، في خطوة عكست سعيها لدخول هذا المجال المعقد، أما انخراط تركيا في هذا المسار عبر ”تايفون بلوك-4“، فيمنحها موقعاً متقدماً داخل بيئة تنافسية شديدة الحساسية، ويجعلها أول دولة ضمن حلف شمال الأطلسي، بعد الولايات المتحدة، تختبر صاروخاً بالستيّاً بهذه الخصائص، بما يفتح الباب أمام إعادة تقييم توازنات القوة داخل الحلف وفي محيطه الإقليمي.

رسائل متعددة

تعكس الخطوة التركية حزمة رسائل جيوسياسية متداخلة، تتجاوز البعد العسكري المباشر إلى إعادة صياغة موقع أنقرة داخل شبكة علاقاتها الدولية والإقليمية. وتأتي هذه الرسائل في سياق تحولات عميقة في فلسفة الأمن القومي التركي، حيث تتقدم فكرة الاعتماد على القدرات الذاتية إلى صدارة القرار

السياسي والعسكري.

تحمل الرسالة الأولى بعدا واضحا في اتجاه الولايات المتحدة، في ضوء مسار طويل من التباينات داخل حلف شمال الأطلسي، خاصة ما يتعلق بمنظومات الدفاع الجوي وصفقات التسليح.

وقد دفعت هذه التباينات أنقرة إلى تسريع تطوير صناعاتها الدفاعية، وهو ما أكده الرئيس رجب طيب أردوغان خلال افتتاح منشآت روكيتسان، حين أشار إلى ارتفاع نسبة الاعتماد على الإنتاج المحلي بشكل كبير خلال العقدين الأخيرين. وفي هذا الإطار يعكس الصاروخ الجديد توجهها نحو امتلاك أدوات ردع مستقلة تغطي نطاقا جغرافيا واسعا، وتؤكد سعي أنقرة إلى ترسيخ علاقة قائمة على التوازن داخل الحلف، تقوم على الشراكة المتكافئة في تحمل الأعباء وصناعة القرار.

في المقابل، تتجه رسالة موازية نحو روسيا، في ظل علاقة مركبة تجمع بين التعاون والتنافس. فبينما تنخرط أنقرة وموسكو في ملفات مشتركة سواء في البحر الأسود أو في مسارات إقليمية أخرى، يعكس تطوير ”تايفون“ إصرار تركيا على بناء قدرة ردع مستقلة تستند إلى تكنولوجيا محلية.

ويبرز اعتماد الصاروخ على الوقود الصلب وتقنيات التوجيه المتقدمة كدليل على مسار تطوير مختلف، يمنح أنقرة مرونة أكبر في التشغيل وسرعة في الاستجابة، ويعزز قدرتها على التحرك خارج أي مظلة عسكرية خارجية.

أما على المستوى الإقليمي، فتتجه الرسالة إلى دول الجوار في شرق المتوسط والشرق الأوسط حيث تسعى تركيا إلى تثبيت موقعها كقوة عسكرية مؤثرة في معادلات الأمن والطاقة، وتظهر التصريحات الرسمية أن تطوير منظومات مثل ”تايفون“ يأتي ضمن رؤية أشمل لتعزيز الاستقلال الدفاعي، مع قدرة على التأثير في مسارح عمليات متعددة. وتدعم هذه المقاربة تقديرات تشير إلى أن هذه القدرات تتيح لأنقرة توسيع نطاق ردعها ليشمل أهدافا بعيدة نسبيا، ما يفرض معادلات جديدة في توازنات القوة الإقليمية.

View this post on Instagram

A post shared by نون | NoonPost (@noonpost)

وتحمل الرسالة الرابعة بعدا داخليا للحلف نفسه، حيث تسعى أنقرة إلى إعادة تعريف دورها داخل حلف شمال الأطلسي، من موقع المستهلك إلى موقع الشريك المنتج.

وقد أشار أردوغان إلى مشروع متكامل لتعزيز منظومة الدفاع الجوي متعددة الطبقات، تقوم على دمج أنظمة محلية وقدرات رصد متقدمة بما يرفع من مستوى الاستقلال العملياتي. وفي هذا السياق، يشكل ”تايفون بلوك-4“ جزءا من بنية أوسع تهدف إلى تحقيق تكامل بين قدرات الدفاع والهجوم، وتعزيز موقع تركيا داخل منظومة الحلف بوصفها قوة مساهمة في إنتاج الأمن، لا الاكتفاء بالحصول عليه.

ضمن هذا الإطار العام، يتجاوز توقيت الإعلان عن الصاروخ بعده الفني ليعكس استخداما واعيا للأدوات العسكرية في التعبير عن المواقف السياسية. فأنقرة توظف قدراتها الصاروخية كأداة دبلوماسية غير مباشرة تعيد من خلالها رسم حدود علاقاتها مع القوى الكبرى، وتفرض حضورها في معادلات إقليمية تتسم بالتقلب والتنافس الحاد.

واكتسبت زيارة الرئيس رجب طيب أردوغان إلى منشآت روكيتسان بعدا يتجاوز الطابع الاحتفالي، لتقرأ كخطوة ضمن مسار واضح لتعزيز الإنتاج الدفاعي. وقد أعلن أردوغان خلال المناسبة عن حزمة استثمارات كبيرة شملت نحو مليار دولار للمرافق المكتملة، إلى جانب مشاريع إضافية قيد التنفيذ بقيمة تقارب ثلاثة مليارات دولار، مع تأكيد أن هذه المنشآت ستسهم في مضاعفة إنتاج المنظومات الصاروخية عدة

مرات، بما في ذلك ”تايفون“ ومنظومات الدفاع الجوي المحلية.

View this post on Instagram

A post shared by نون بوست | NoonPost (@noonpost)

كيف يتغير ميزان الردع؟

يرتبط مفهوم الردع بقدرة الدولة على إيقاع ضرر كبير يفوق قدرة الخصم على التحمل، مع ضمان سرعة التنفيذ ودقة الإصابة. ويفتح دخول صاروخ ”تايفون بلوك-4“ إلى الخدمة مرحلة جديدة في حسابات القوة المحيطة بتركيا، خاصة على مستوى المدى المتوسط الذي ظل لسنوات منطقة توازن حساسة بين عدد من الفاعلين الإقليميين. وبينما تحتفظ ”إسرائيل“ وإيران بقدرات بعيدة المدى تتجاوز هذا النطاق، فإن الصاروخ التركي الجديد يعيد تشكيل المشهد ضمن دائرة تمتد إلى نحو ألف كيلومتر وأكثر. في الحالة اليونانية، يضع الصاروخ الجديد كامل الأراضي اليونانية بما في ذلك الجزر الحيوية في بحر إيجه، ضمن نطاق الاستهداف المباشر. ويمنح ذلك أنقرة قدرة إضافية على التأثير في أي تصعيد محتمل، سواء في المجالين البحري أو الجوي، ويرجح أن يدفع هذا التطور اليونان إلى تعزيز منظوماتها الدفاعية وتوسيع تعاونها مع شركائها الأوروبيين والإقليميين، في محاولة لاحتواء الفجوة التي يفرضها تطور القدرات الصاروخية التركية.

أما في جنوب القوقاز، فيعيد ”تايفون بلوك-4“ رسم ملامح التوازن مع أرمينيا، التي تمتلك منظومات صاروخية محدودة المدى مقارنة بالقدرات الجديدة لتركيا، ويمنح ذلك أنقرة قدرة ضغط إضافية في ملفات إقليمية حساسة، سواء ما يتعلق بممرات النقل أو التوازنات المرتبطة بالصراع في كاراباخ، مع احتمال أن يدفع هذا الواقع يريفان إلى تعزيز ارتباطها بحلفائها التقليديين بحثاً عن مظلة ردع موازية.

View this post on Instagram

A post shared by نون بوست | NoonPost (@noonpost)

وفي ما يتعلق بـ ”إسرائيل“، يضيف الصاروخ التركي بعداً جديداً إلى العلاقة المعقدة بين الطرفين، إذ يتيح لأنقرة خيار استهداف منشآت ذات أهمية استراتيجية في حال تصاعد التوترات السياسية أو العسكرية. ورغم امتلاك ”إسرائيل“ قدرات صاروخية بعيدة المدى، فإن دخول تركيا هذا المجال يعزز من فكرة التوازن المتبادل، ويفرض إعادة نظر في حسابات التحالفات والانتشار الدفاعي في شرق المتوسط.

أما إيران، التي تعتمد منذ سنوات على ترسانة صاروخية واسعة لفرض نفوذها الإقليمي، فتجد نفسها أمام معادلة أكثر تعقيداً مع دخول منظومة تركية تمتاز بسرعة عالية ودقة متقدمة، ويمنح ذلك أنقرة قدرة على الرد السريع والدقيق في حال تعرض مصالحها للتهديد، كما يتكامل هذا التطور مع مشاريع الدفاع الجوي التركية متعددة الطبقات، ما يعزز من قدرة البلاد على التعامل مع التهديدات الصاروخية في الاتجاهين، الدفاعي والهجوم.

أداة تفاوض

ويتجاوز الصاروخ كونه إضافة نوعية إلى القدرات العسكرية، ليأخذ موقعه كأداة تأثير داخل مسارات التفاوض التي تنخرط فيها تركيا على أكثر من جبهة، فالقوة الصلبة حين تبلغ مستوى معيناً من الجاهزية والدقة، تتحول إلى عنصر حاضر في خلفية القرار السياسي، وتمنح صانع القرار هامشاً أوسع في إدارة الملفات المعقدة، وفي هذا السياق، يتقاطع التطور الصاروخي مع شبكة من القضايا المفتوحة، تمتد من العلاقات مع الولايات المتحدة وروسيا إلى التفاعلات مع الاتحاد الأوروبي ودول الإقليم.

في العلاقة مع واشنطن، يضيف هذا التطور بعدًا جديدًا إلى مفاوضات التسليح والتنسيق داخل حلف شمال الأطلسي، خاصة في ما يتعلق بملفات الطائرات المقاتلة والتوازنات الأمنية في سوريا، فامتلاك قدرة صاروخية متقدمة يمنح أنقرة موقعًا تفاوضيًا أكثر صلابة، ويجعل خياراتها أقل ارتباطًا بمسار واحد. وفي الوقت نفسه، يفرض هذا الواقع حسابات دقيقة، حيث يمكن أن يترافق مع ضغوط مضادة تتصل بالعقوبات أو القيود على نقل التكنولوجيا.

أما في التعامل مع موسكو، فتتداخل أدوات الردع مع طبيعة العلاقة المركبة التي تجمع الطرفين، فتركيا، التي تنخرط مع روسيا في ملفات متشابكة، تمتلك الآن ورقة إضافية تعزز قدرتها على المناورة. هذه الورقة يمكن أن تُستخدم لتثبيت توازن دقيق في المصالح، مع الحاجة إلى إدارة محسوبة تحول دون دفع العلاقة نحو مسار تصعيدي ينعكس على مجمل الترتيبات الإقليمية.

وعلى المستوى الإقليمي، يتداخل البعد العسكري مع حسابات النفوذ في مساح مثل ليبيا وسوريا والعراق وشرق المتوسط. فامتلاك قدرة صاروخية دقيقة وسريعة يوفر غطاءً ردعيًا للوجود العسكري التركي، ويعزز موقع أنقرة في ملفات الطاقة وترسيم الحدود البحرية، حيث تتشابك المصالح الاقتصادية مع معادلات القوة. وفي هذا الإطار، تتحول القدرة العسكرية إلى عنصر مؤثر في تشكيل مواقف الأطراف الأخرى، سواء في التفاوض أو في إدارة الأزمات.

ضمن هذه الصورة الأوسع، يظهر ”تايفون بلوك-4“ كأداة تعيد تعريف العلاقة بين القوة والدبلوماسية في السياسة التركية. فأنقرة، التي تعمل على توسيع استقلال قرارها، توظف هذه القدرات لتعزيز موقعها على طاولة التفاوض، بما يتيح لها صياغة خياراتها من موقع أكثر توازنًا، وتبقى فعالية هذه الورقة مرتبطة بكيفية إدارتها، إذ إن توظيفها بمرونة ووعي يفتح المجال لتحقيق مكاسب، في حين أن استخدامها باندفاع قد يدفع نحو مسارات أكثر تعقيدًا في بيئة إقليمية شديدة الحساسية.